



زيارة لعمان من 19 كانون الثاني لغاية 24 كانون الثاني 2013

قدمت عمان مساء يوم الجمعة 18 كانون الثاني حاملا معي بعض المساعدات مالية وعينية من أهل الخير جزاهم الله كل خير.

رأيت أن أكتب لكم ما شهدته أثناء زيارتى لبعض مخيمات اللاجئين السوريين (وكم أكره استعمال هذا التعبير)، آه مما رأيت وشاهدت، وأه أشد من هول موقفنا يوم الحساب، يوم السؤال... يوم لا تنفع الأعذار.

أكتب ما أكتب على أستطيع نقل بعض أجزاء الصورة لكم وعلكم تنشرون ما أكتبه في محيطكم ليصل إلى قلوب تحتاج البعض النور فيكسر الظلم المخيم على كثير منها - عافانا الله وإياكم من ظلمة القلوب والقبور - ولعل ما أكتب يشجعكم أهل الخير لمد يد العون لإخواننا فيكثر العطاء ويزيد الأجر بإذن الله.

وما تقدموا لأنفسكم من خير تجدوه عند الله هو خيرا وأعظم أجرًا

السبت: 19 كانون الثاني 2013 ذهبت مع أخياليوم لزيارة المستشفى الإسلامي وهو أحد المستشفيات التي يعالج فيها جرحى المجاهدين السوريين.

زينا حوالي 30 جريحا (إما مجاهدا ومقاتلا أصيب في الميدان أو جريحا مدني بالقصف أو القنص). وقد سلمنا من الأموال التي قدمتموها وتبرعتم بها ما بين 20 إلى 50 دينار لكل مصاب، إلا أخ واحد أعطيناه مبلغاً ما يكفيه لأجور غسل كلية لمدة أسبوعين (يلزمه غسيل كل لثلاث مرات أسبوعياً كل مرة بحوالي 75 دينار وقد وعدنا بعض

الأخوة الأفاضل من مساعدتنا للحصول على أسعار أفضل).

حضرنا التوزيع لهؤلاء على 50 دينار بحد أقصى إذ أخبرنا بعض الأخوة الذين يعملون بهذا المجال التطوعي أن هؤلاء المرضى يتلقون مساعدات تكفي معيشتهم من الجمعيات ولكن سيكون وقع المبلغ بأيديهم بمثابة هدية لهم ولأولادهم.

وهذا ملخص ما شاهدت:

1- أبو محمد، من بصر الحرير، أصابت قذيفة دبابة رجله ويده، فكادت أن تبت رجله لو لا فضل الله ورعايته. يروي قصته أنه لما أصيب في المعركة، لم يجدوا من يعالجه إلا طبيب أسنان فعمل ما بوسعه، ثم غاب هو عن الوعي ليفيق

وبيهاته أو على عكازته ليرجع ويقاتل ويحشد، إذ أن سوية بحاجة إليه وإله، أمثاله كما يقول الشاهد أن كلاهما ينتظران الفرصة التي يتمكن فيها الواحد منهما من الاعتماد على نفسه في وطعامه وخروجه ومشيه (ولو وبجانبه ابن عمه الذي أصيب برأسه وجسمه في نفس المعركة. ويرى نفسه ممدا في هذا المنسق).

يقسم لي ويصرخ قائلًا: "والله" ويشدد أن والله بكسر الهاء، والله والله إتنا كنا نشهد الملائكة تقاتل معنا، والله أنه وبعد قذيفة المدفع رأينا دخانها يتشكل بصورة لفظ الجلالة وتارة بصورة اسم "محمد" صلى الله عليه وسلم.

أخبرني والفرحة تنبع من عينيه أنه سيتمثل للشفاء قريباً بإذن الله وسيعود فوراً لسوريا ليقاتل المجرم الباغي الظالم فيقتله أو يُقتل دون ذلك.

سألته، السست صغيراً يا بني على ذلك، أخبرني وهو يحاول أن يحافظ على احترامه لسني، "عمو نحنا رجال يا عم ووالد منا عمرو 10 سنين بميت واحد (100 واحد)" وكأنه أراد أن يقول بمائة من أمثالى

3- شاب آخر من داريا عمره 25 عام، ما أجمل محياه، دخلنا عليه وهو يحمل كتاب الله بجهد ليقرأه ويتلوا آياته. أصيبي في ظهره فشلت رجلاه فلا إحساس بهما ولا يقدر على تحريكهما أو أصابع رجليه.

4- سامي، ذو 10 سنوات على ما أظن، أصا به قناص في يده. فقد أطباء المستشفى الأمل في شفائه (إلا أن يشاء الله). سيحاول بعض أهل الخير جمع ما يكفي لمحاولة علاجه في أوروبا.

5- وهذا طفل آخر من درعا عمره لا يتجاوز سنتين، أصيب سليم برجله جراء قصف وبرميل متفجرات منذ أربعة وهذه صورته. لم أستطع محاديثه إذ أصيب بحالة نفسية أثّرت على قدراته الكلامية

أخبرني والده أن أطباء المستشفى أخبروه أن لاأمل بشفاء ابنه وأنهم سيتبرون ساقه للمحافظة على حياته. فاستشار والده طيباً من خارج المستشفى الذي أخبره أن أطباء المستشفى اختاروا الطريق السهل والأقل كلفة، وأن هناك أمل كبير في معالجة ساق ابنه والحلولة دون بترها ولكن العملية مكلفة (حوالى 10 آلاف دينار).

اتفقت مع أخي على استشارة طبيب أو أكثر بمعرفتنا لهذه الحالة وإن أخبرنا بإمكانية علاجه دون الضرر أن نتکلف بتکاليف العلاج مما تبرعتم به مشكورين.

ضحك الطفل سليم لما سأله ماذا تريده أنا فعل بعد شفائه بإذن الله، فأجابني أنه يريد أن يكون مجاهاً مثل أبيه، وأضاف وهو يضحك "أنا مابي شي يا عم، شوف رجلي منيحة بس كام يوم وبطلع بركرض عليها

6- ورأينا طفلاً آخر أصيبت عيناه من شدة ومية القذائف، لا أدرى ما حالتها تماماً ولكن يبدو أنها فقدت البصر في إحداهما، وما تزال تلعب وتجري في أروقة المستشفى مع إبراهيم وتسابقه وهو على الكرسي المتحرك.

7- ولا أنسى الطفل أسعد أيضا، ورأيته يتالم والممرضة تحقن يده بال محلول الدوائي فيعتصر من الألم ولا يهدأ إلا بعد أن يعطيه عمه مسدسا بلاستيكيا فيطلقه على صورة قاتل أبيه رسمها بيده غير المصابة، ولكنكم أن تتخمنوا من المجرم بالصورة.

8- واخت بمحضاب مدنى - أبي محمد - زوجته المراقبة. أبو محمد درعاوي ومن عائلة معروفة طلب التحفظ على اسمه. أصابه قناص وهو والحمد لله يتماثل للشفاء. مد أخي يده ليصافحه مودعا وفيه يده ورقة نقدية من 20 دينار. رفض أخذها ودمعت عيناه، أخبرنا أنه كان ميسور الحال وكان يتصدق من حر ماله للمجاهدين بالملاليين، فأصابه ما أصابه واضطر للفرار مع زوجته.

لم تتحمل نفسه الأبية أنه صار في موضع من يأخذ بعد أن كان يعطي، فبكى، وما أصعب بكاء الرجل المقهور خاصة إن كان شيخا، نظرت إلى زوجته عليها تأخذ المال فرأينا من عينيها دموعا أكثر مما في عيني زوجها. خرجنا وأعطينا المبلغ للمرض في حال أن استطاع أن يقنع أبيا محمد به لاحقا، وإلا فليعطيه لأي محتاج.

9- مع أن المرضى يشكرون معاملة الممرضين والقائمين عليهم الحسنة والطيبة لهم، إلا أنني سمعت شكاوى يكاد يجمع عليها الجميع، وتتلخص هذه الشكاوى في التالي:

أ. أنهم يخرجونهم قبل نهاية علاجهم. واقسم لي أحدهم أنه رأى جريحا يخرجونه وهو ما زال بحالة تستدعي دخوله للطوارئ ناهيك عن إخراجه من المستشفى

ب. شح الضمادات واللفائف الطبية مما يجعل المرضى والجرحى يحافظون على كل ضمادة أو لاصق فيتبادلونها فيما بينهم.

كما زرت مع أخي الليلة مخيم الحسين في عمان الذي يلت杰ء فيه عدد لا يأس فيه من السوريين مؤقتا ريثما يتم ترتيب أمورهم (وغالبا ما يستمرون بالإقامة فيه لعدم توفر البديل).

أنشئ هذا المخيم لإيواء اللاجئين الفلسطينيين ولهذا رأيت كثيرا من صور الأخوة المتجسدة في عطاء الأخ لأخيه ومشاطرته لقمنته ولو كانت لا تكفيه هو وعائلته لسد رقم من عييل.

المهم لم أكن أتخيل أن يعيش بشر في مثل هذه الظروف في زمننا الحالي، فأخبرني أخي أن هذا يعد 5 نجوم نسبة لما سنراه في مناطق أخرى.

دخلنا مثلا غرفة لا تتجاوز 3 x يقطنها - ينام ويأكل ويجلس - فيها 6 أشخاص: الأرملة وولديها ورضيعها واختها ووليدتها - وفي الغرفة مدفأة "سولار" يستخدمونها للتدفئة إذ لا وسيلة تدفئة في هذه الغرفة غيرها وأنفاس الموجودين فيها، كما يستخدمونها "لتحميس" الخبز وغلي الماء للشاي، وهذا طعامهم مع بعض قطع الجبنة أو الزعتر أو ما شابهه، هذا طعامهم ليل نهار، إلا ما قد يقدمه لهم جيرانهم الفلسطينيين - ولا أدرى أين يقضون حاجتهم. وزعننا من صدقاتكم (جزاكم الله خيرا على كل قرش قدمتموه) لبعض الأرامل هناك من استشهد أزواجهن أو اعتقلوا ولا خبر عنهم، ما يكفيهن ومن يعلن لمدة شهر بإذن الله.

الأحد: 20 كانون الثاني ذهبت مع أخي وابن عمي وفاعل خير يدعى الحاج أبو عبد الرحمن لزيارة مخيما بالمزار (الكرك) والتي تبعد حوالي ساعتين من عمان.

منطقة باردة جدا كانت منذ أسبوع مغطاة تماما بالثلوج وما زالت آثارها واضحة.

يقطن في المزار حوالي 500 عائلة سورية أغلبهم أرامل شهداء أو معتقلين. اتفقنا مع جمعية محلية على توزيع تبرعات على 50 عائلة فقط على أن يقوم أخي أو ابن عمي بزيارتهم بعد أسبوعين ليقدموا مساعدات لـ 50 آخرين، وهكذا دواليك...

وجدنا هناك عائلات تقطن غرفا لا ترضي أن يسكنها حيوانات أليفة نرببيها، فلا سقف يقي، ولا جدار متماسك، ولا أرض

تجسد لي مثل "من يحيى من قلة الموت"، أطفال كثير من رضع يعيشون في هذا البرد القارس بلا موقن أو مدفأة يتقون بها هذا البرد ولا حتى غطاء كاف لجميع من بالغرفة، فإن احتمت الأم بالغطاء لتقي رضيعها البرد، طكتك أنسان أخته الصغيرة من شدة البرد والزمهرير.

وددت لو تسمعون الدعاء الذي كانوا يدعون لكم به، دعاء من قلوب طاهرة منكسرة في ظهر الغيب...
أكثر ما يدمي القلب وأصعب المواقف كانت حينما انتهينا من توزيع المبالغ على العائلات المتفق عليها، كيف لنا أن ننظر بأعين الأطفال والأرامل اللاتي لم يكن لهما نصيب اليوم من التوزيع ولكنهم أتوا على أمل "لعل وعسى" لا أرانا الله مواقف مثيلة فينا وفي أحبتنا والمسلمي.

ثم عدنا بأدراجنا إلى الرصيفة قرب عمان حيث مخيم قديم اسمه مخيم "شنللر"، وهو مخيم لاجئين فلسطينيين مثله مثل مخيم الحسين الذي زرناه بالأمس. وزعنا تبرعات على 30 عائلة من أصل 200 عائلة سورية هناك، وسيقوم أخي أو ابن عمي بزيارتهم الأسبوع القادم بإذن الله لتقديم مزيداً من المساعدات.

الاثنين 21 كانون الثاني ذهبت اليوم مع والد الطفل سليم واستشرنا أحد الأطباء أخصائي الأوعية الدموية. أخبرنا الطبيب (جزاه الله خيراً إذ لم يرض أن يتلقى أجره لما علم بملابساتها) أن الأوعية الدموية سليمة بإذن الله والدورة جيدة ولكننا تأخرنا باتخاذ قرار العملية، إذ لو بادرنا فيها فور إصابته لكان أمل ترميمها أفضل ونسبة نجاحها أقوى، ولكنه ما زال يظن أنه بالإمكان تجنب بتر رجل الولد.

أشار علينا أن نأخذ رأي أطباء مختصين بالترميم والتجميل. وهذا ما ستفعله في الأيام القادمة بإذن الله. جاء أخي خبر مساء اليوم عن وجود أخت لنا - أرملة شهيد - وصلت إلى عمان مع أولادها التسعة وتحتاج للمساعدة والإعانة.

ذهبت مع أخي لزيارتها وكان معنا الوالدة حفظها الله وزوجة أخي إذ لا يمكن مقابلتها ليلاً هكذا من دون نساء معنا. فتح لنا الباب شاب في أواخر العشرينات فاستغربنا، المهم دخل النساء إلى غرفة وأغلقنا عليهن الباب وجلسنا معه ومع ولد عمره 13 عاماً في مدخل المنزل. وببدأ محمد برواية قصته لنا.

محمد مجاهد مع الجيش الحر، قصف منزله في درعا بقذيفة أصابت رجلي زوجته ولكنها لم تصب ابنه الذي كان في المنزل بأذى ولله الحمد.

حدث هذا منذ حوالي 5 شهور. اضطر لمجاورة سوريا لعلاج زوجته وأدخلها المستشفى الإسلامي ثم مستشفى آخر أجروا فيها عدة عمليات لزوجته (وهو يشكر الطبيب ويدعوه له إذ رفض أخذ أجور العمليات منه).

و عمل وما زال يعمر ويكتب قوته والله الحمد دزن أن يمد يده وهو يتکفل بعلاج زوجته.

أخبرني أن لو لا مسؤولية زوجته وأنه يرى أن جهاده في رعايتها، لرجع إلى سوريا ليجاهد في سبيل الله. وأخبرنا أن الأمور كانت على ما يرام ليوم أمس إذ هربت أخت زوجته وأطفالها التسعة من درعا إلى عمان نجاها بحياتها وحياة أولادها الذين استشهد أبوهم تحت وطأة التعذيب في المعتقل - بالمناسبة رفضوا تسليمهم جثة الشهيد إلا بعد أن باعут ما اضطرت لبيعه لتحصيل ثمن يرضي القتلة المجرمين للإفراج عن الجثة الطاهرة.

وصلوا عمان وها هم الآن معه فأصبحوا ثلاثة عشر شخصاً في منزل من غرفتين.

وفي أثناء الحديث معه، فتحت زوجة أخي وأمي باب الغرفة وأخبرانا أنهما يريدان الذهاب، فودعنا محمد وخرجنا. سألتهما عن سبب خروجهما المفاجئ هكذا، فأخبراني أنه بينما كانت الأخت الكبيرة (الأرملة) تروي لهما قصة هروبها وأولادها وعن الإصابة التي أصابتها، كشفت عن رجلها لتربيهما إصابتها، في لهول ما رأيا...

ولكم أن تخيلوا كيف تبدو رجلي امرأة سقطت في غرفتها قذيفة دبابة... تكفلنا مما تبرعتم به، بإعالة ومصاريف هذه الأرملة وأطفالها لمدة أربعة شهور باذن الله، عسى أن تأتي تبرعات أكثر مستقبلاً فيستطيع أخي متابعة كفالتها. الثلاثاء 22 كانون الثاني تلقينااليوم خبراً مفرحاً والحمد لله.

دلنا أحد الأفضل - جزاه الله خيراً وبارك فيه - على طبيب مختص بالترميم والتجميل من أجل حالة الطفل سليم.

ذهبنا لزيارته وبידنا التقارير وصور الأشعة القديمة المأخوذة من شهر تقريباً وكذلك صوراً فوتوغرافية لرجل الطفل مأخوذة منذ شهرين تقريباً.

وبكشفه على الساق، أخبرنا الطبيب أن حالتها في تحسن والحمد لله وأنه يمكنه بعد شهر تقريباً من إجراء هذه العملية دون الحاجة لبتر ساق الولد.

ليتكم رأيتم نظرات الأب يا أخوتي، ليتكم سمعتم دعاءه الخالص لكم ...

هل تخيلون دعاء والدة هذا الطفل لكم؟؟؟

جزاكم الله خيراً وأسدد عليكم ستره.

الأربعاء 23 كانون الثاني ذهبنااليوم لزيارة مخيم الزعترى الذى أضحتى مشهوراً عالمياً.

سمعت كما سمع الكثيرون عن هذا المخيم ومعاناة سكانه.

زرنا هناك وحدة طبية وتعرفنا على القائمين عليها واستمعنا لمحاظاتهم، وبعد ذلك تجولنا في المخيم ثم عدنا أدراجنا. هذه بعض النقاط التي أود مشاركتكم فيها فيما لاحظته أو سمعته أو شاهدته هناك:

يستوعب المخيم حوالي 40,000 شخص. يقطنه حتى الأمس 74,000 شخص ولا أدرى حقاً إن زاد العدداليوم أم لا.

ولا أبالغ في قولي هذا إذ زاد عدد المقيمين فيه حوالي 10,000 شخص خلال الأيام الثلاثة الماضية

يتكون معظم المخيم من خيم قماش، عدا الجزء الأخير منه إذ يتكون من "كرفانات" وهي مهيئة بشكل أفضل من الخيام خاصة في أيام الشتاء والثلج والمطر. يتم حالياً توسيعة لمرحلة ثانية لا يسمح للمقيمين فيه مغادرتها.

لذا تراهم متسلعين في أزقته لا فائدة منهم ولهم سوى التدخين (لم أر سوى تدخين سجائر أو أرجيلة حالياً، الله يستر مما قد يدخلونه مستقبلاً).

ولا يخفى على أحد نتائج البطالة الاجتماعية خاصة أن كثيرون منهم - ذكوراً وإناثاً - نازلوا في شبابهم وأوج رجولتهم أو أنوثتهن.

هناك "بساطات" أو متاجر صغيرة تحوي الكثير من مستلزمات الحياة ومن "غير مستلزماتها".

أدهشني كثرة "بساطات" بيع السجائر فلا نكاد نمشي بضعة أمتار إلا لقينا بسطة سجائر، وأحياناً تجد في محيط قطره متران اثنان حوالي 10 بسطات كهذه.

يبيعون فيه ملابس ومحضار وجوالات وأحذية إلخ.

كما وجدت أماكن تعرض دجاجاً مثلاً (من غير تعبئته، ويكون الدجاج معرضًا للهواء الطلق والله أعلم متى وهو بهذه الحال).

يتاجرون بما يفيض عن حوائجهم من معونات، فمن يستلم مثلاً 3 بطانيات يبيع واحدة أو اثنتين، وهذا دواليك، وكذا الحال بالنسبة للملابس والأحذية وغيرها، حتى الدواء لم ينج من ذلك.

جريناً أن نقوم بـ "حسابية عرب". لدينا حوالي 75 ألف شخص، لو افترضنا أن 10 آلاف منهم يقطنون قاطرات، يبقى 65 ألفاً

أي حوالي 13 ألف عائلة، ولو افترضنا أن قيمة الكرفان الواحدة حوالي 1500 دينار، أي يلزم حوالي مليوني دينار أردني، وهو مبلغ ليس بالكثير لا على المنظمات الدولية ولا على الدول. فلم لا يفعلون ذلك. طرح هذا التساؤل أحد المسؤولين بالمركز الطبي الذي زرناه (وطلب التحفظ على اسمه) وأخبرنا أن لا أحد يريد "حل" أزمة الزعتري إذ أن المستفيدين من وضعه الحالي كثيرون وهم في مناصب مهمة إضافة إلى العمق السياسي له.

كما أخبرنا هذا المسؤول أنه يأتيهم ما بين 500 إلى 800 حالة يوميا يعالجون فيها أطفالا ونساء ورجالا، ويرسلون الحالات الجراحية المستعصية إلى خارج المخيم.

لذا، فإنه يلزمهم أدوية بما يقدر بحوالي 30,000 دينار شهريا. تتعهد المنظمات الإنسانية والهلال الأحمر بها، ولكن غالبا ما تتأخر هذه المساعدات عليهم بسبب البيروقراطية أو أمور أخرى غير مقدور عليها. وقد ارتأيت أن أقدم لهم - من مساعداتكم جزاكم الله خيرا - مبلغ 1500 دينار كانوا بحاجة إليها حاليا لشراء أدوية تنتصهم.

تعرفنا على بعض أرامل الشهداء وأعطيناهم مبالغ تكفيهم لأسبعين. ذهبنا بعد أن غادرنا المخيم إلى مدينة المفرق القريبة، حيث زرنا "أم وداد" وهي ناشطة سورية ترعى شؤون أرامل الشهداء، كانت قد زودت أحد الأخوة بقائمة باسماء الأرامل ومستوى احتياجاتهم، فقدمنا لها 30 أرملة شهيد ما يكفيهن لشهر تقريبا. هذا ما مجمل ما تصرفت فيه بالأموال التي جادت بها نفوسكم الزكية، جزاكم الله خيرا وأسدل عليكم سترا وجعله في موازين أعمالكم وحسناتكم.

لم تتح لي الفرصة بتوزيع الملابس بعد، ولكن الوالدة حفظها الله صنفthem وسيقوم أخي بإذن الله بتوزيعها على مستحقيها في الأيام المقبلة.

سأغادر عمان غدا بإذن الله، ولكن ما رأيته من ألم ومعاناة، وما شهدته من بؤس وشقاء في هذه الأيام القلائل جعلني أنوي العزم لمعاودة الكرة في أقرب فرصة تناح إن شاء الله، وسأعاود حينها طلب تبرعات منكم.

جزاكم الله خيرا وبارك لكم فيما أعطاكم وستر عليكم وزادكم من فضله وأغدق عليكم من خزائن ملکه.

ملاحظة: تحفظت على اسمي كي لا يحول أحد بيني وبين إعادة كرة ما فعلت. كما استخدمت لجميع من أوردت أسماءهم أخرى مستعارة لأسباب تقدرونها.

كتبت ما كتبت أعلاه وبعثته إلى من جادت به نفسه ممن أعرفهم، ثم قرأت زوجتي وأشارت إلى أن أعممه فأعادت صياغته ليناسب هذا المقام.

المصادر: